# الإعاقة و الاعلام : محددات العلاقة و أساليب التصحيح

د. عبد الناصر فتاح الله

ورقة عمل مقدمة في
الملتقى السابع للجمعية الخليجية للإعاقة
ومسؤولية متبادلة "الإعلام والإعاقة- علاقة تفاعلية
".الفترة بين 16-18 صفر 1428هـ، 6-8 مارس 2007م. مملكة البحرين "
الجمعية الخليجية للإعاقة بالتعاون مع المؤسسة الوطنية لخدمات المعاقين

# الإعاقة و الاعلام : محددات العلاقة و أساليب التصحيح

**د. عبد الناصر فتاح الله**

ارتبطت طبيعة علاقة الاعلام بالاعاقة بالتطورات المجتمعية من جهة (نظرة المجتمع للشخص المعاق) و بالتطورات النفسية و الحقوقية من جهة أخرى (نظرة المعاق لنفسه كعنصر فاعل في المجتمع ) .

و عكس الاهتمام الاعلامي صورا متفاوتة في التقدير - ليست دائما مرتبطة بنظرة اعلامية خاصة بهذا المجال بل هي في الغالب انعكاس لتفاعلات اجتماعية واعية و غير واعية - و لكنها في تقدير الباحثين و المعنيين بالامر صور تميل الى السلبية أكثر من ميلها الى الايجابية.

و لهذه الاشكالية خصوصية ربما قد لا نجدها في حالات علائقية أخرى ، تتمثل في كون الاهتمام الكمي الكبير لا يعني بالضرورة اهتماما نوعيا ايجابيا . و انما قد يساهم في تكريس الصورة السلبية بشكل اعمق . فالاشكالية إذن إشكالية نوعية بالأساس مرتبطة بطريقة المعالجة الاعلامية للموضوع و أشكال تفاعل هذه المعالجة مع النظرة الاجتماعية السائدة و مدى مسؤوليتها التصحيحية في هذا المجال . و على هذا الاساس فان هذه الورقة ستركز على محددات هذه العلاقة ، و أساليب تصحيحها .

و سنعتمد في ذلك من الناحية المنهجية على مقاربة شمولية . لأن المقاربة العلمية للموضوع لا تقتصر على اعتماد حقل علوم الاعلام و الاتصال فقط ، و لكنها مقاربة تتقاطع فيها علوم انسانية متعددة . فإضافة الى علوم الاعلام نجد أيضا العلوم القانونية و علم النفس و علم الاجتماع بكل تفريعاتها و حتى الفلسفة : فهو مجال تتعايش فيه مفاهيم من علوم مختلفة من صنف الدمج الاجتماعي ، إدراك الصورة الذهنية ، السلسلة الاتصالية من مرسل ، رسالة ، وسيلة ، متلقي ، تغذية راجعة ...

يتطلب طرح موضوع العلاقة بين وسائل الاعلام و الاعاقة في اعتقادنا مقاربة شمولية تتحدد ملامحها من خلال محورين أساسين تفاعليين بمنظور تكاملي :

- المحور الأول : محددات العلاقة : تتمظهر هذه المحددات من خلال زاويتين أساسيتين :

أ : وسائل الاعلام و قضايا الاعاقة ( حقوق المجتمع )

كيف تعالج وسائل الاعلام موضوع الاعاقة و ما هي الصورة الواعية و غير الواعية التي ترسمها هذه الوسائل و تكرسها عن المعاق ؟

ب : وسائل الاعلام و مدى اتاحتها للمعاق ( حقوق الانسان )

لا يرتبط مفهوم الولوجيات فقط بامكانية المعاق الوصول جسديا الى كل المرافق التي يريدها ، و لكنه مفهوم يتجاوز هذا التصور المادي الميداني ليشمل في المجال الاعلامي الحق في جعل وسائل الاعلام متاحة للمعاق أيضا ، و هو ما يترجم في مجال حقوق الانسان بالحق في المعرفة و الحق في التعبير عن الرأي . و يطرح هذا المحور أيضا قضية حضور المعاق مهنيا في وسائل الاعلام كقائم بالاتصال ( منتج أو صحافي ) ، و هو العامل الذي من شأنه أن يساعد على تصحيح صورة المعاق اجتماعيا من خلال وسائل الاعلام

- المحور الثاني : أساليب التصحيح : على اعتبار أن العلاقة علاقة مختلة و ذلك باتفاق يكاد يحضى بالاجماع ، و انها تحتاج الى تعديل و تقويم .

**1 – <u>وسائل الاعلام و الاعاقة : محددات العلاقة</u>**

بداية ، يستدعي طرح موضوع الاعاقة في علاقته بوسائل الاعلام ، من الناحية المنهجية ، استحضار ملاحظة اساسية مرتبطة بإشكالية المفهوم ، و تحديدا مفهوم الاعاقة .

مفهوم الاعاقة مفهوم لم يحسم بشكل نهائي من حيث التعريف . و هذا أمر طبيعي ،الى حد ما ،على اعتبار ان المفاهيم تتفاعل مع حركية المجتمع و تطوره و لكن هذا التطور يجب ان يكون تصاعديا في اتجاه تعميق المفهوم باحتوائه للمتطلبات الجديدة المرتبطة به . الا انه يصبح عائقا معرفيا حينما تتضارب التعريفات و لا تتضح الحدود الفاصلة بين المصطلحات التي تنتمي الى نفس العائلة المعرفية . لازال مفهوم الاعاقة مطاطيا ، قابلا لاستيعاب مضامين أوسع ، ولتوظيفات متعددة تتجاوز الدلالة الاتيمولوجية : فالجهل يخلق اعاقة معرفية . و الفقر يخلق اعاقة معيشية . و الخجل يخلق اعاقة تواصلية .. الى غير ذلك من الحالات و المجالات التي يمكن ان تتجسد فيها الإعاقة .

نثير هذه القضية المفاهيمية لسبب لا ينفصل عن الاشكالية المحورية في الموضوع ( علاقة الاعاقة بالاعلام ) على اعتبار ان المجال المفاهيمي قد يتحدد أكاديميا في إطار علمي دقيق ، و لكن أجرئته الواقعية التداولية قد تجعلنا نواجه الى جانب المفهوم الاكاديمي للمصطلح مفهوما اعلاميا قد لا يفيد بالضرورة ما تم تحديده أكاديميا .

ونطرح هذه الملاحظة أيضا لأن مسألة المفهوم تصب في صلب الاشكالية الاتصالية عموما على اعتبار ان الشرط الأساسي الأول لتحقيق الاتصال هو التحدث بلغة مشتركة يتفق

الجميع على معانيها. و لأن عدم اتفاق الاطراف الاتصالية ( المرسل و المتلقي ) على مفهوم موحد يجعل الرسائل الاتصالية فضفاضة و قابلة لتأويلات متعددة ، و احيانا متناقضة و تؤثر سلبا على المردودية الاتصالية المتوخاة : ففي نعت المصاب بإعاقة ما نستعمل كلمات المعاق ، المعوق ، ذوو الاحتياجات الخاصة ، و ماذا تعني احتياجات خاصة ؟ و هل المسنون يدخلون في هذا التصنيف ؟ ... أسئلة كثيرة مرتبطة بإشكالية تحديد المفهوم . المؤكد أن هناك اجتهادات كبيرة في هذا الصدد و لكنها تبقى مطروحة على المستوى النخبوي فالمسألة يجب أن ينالها نصيبها من التعميم و التداول الجماهيري . نحن هنا لا نبحث عن تحديد دقيق للمصطلح بقدر ما نريد التأكيد على تأثير هذا التداخل على طبيعة الرسالة الاتصالية الخاصة بموضوع الاعاقة .

**محددات العلاقة**

إذا ما تجاوزنا إشكالية المصطلح فإن الاقرار الذي يشكل محددا أساسيا لعلاقة الاعاقة بالاعلام و هو إقرار فاق حالة الإفتراض ليقترب من الحقيقة الواقعية هو الاقرار بوجود حالة تقصير لوسائل الاعلام في اهتمامها بقضايا الاعاقة .

و يتجسد ذلك من خلال ملاحظتين أساسيتين :

الأولى طبيعتها كمية ( حجم الاهتمام الاعلامي بموضوع الاعاقة) .

و الثانية طبيعتها نوعية ( طبيعة الصورة التي تعكسها وسائل الاعلام عن المعاق )

**أ : <u>عدم الاهتمام كفاية بالاعاقة كموضوع و بالمعاق كشخص منتج</u>** سواء تعلق الامر بالانتاجات الفنية أو الفكرية أو المهنية أو الانجازات الرياضية .

أصبح حجم الاهتمام على المستوى العالمي يطرح بمعطيات جديدة ، أهمها انتشار ظاهرة التخصص الاعلامي ، خصوصا التلفزي و الاذاعي و الالكتروني . و لكن حجم هذا الحضور لازال متفاوتا من وسيلة الى أخرى . فتجربة التخصص الاعلامي في حقل الاعاقة محدودة جدا على المستوى التلفزيوني ، في حين أنها تعرف إذاعيا تطورا تصاعديا ، و تشهد في حقل الانترنيت اهتماما كبيرا و متزايدا بموضوع الاعاقة من خلال انشاء مواقع متخصصة في الموضوع .

و لكن لا يجب ان نعتبر هذا التخصص الاعلامي او التيمي شيئا إيجابيا بالمطلق ، و خصوصا بالنسبة للمواضيع التي تسعى لتصحيح صور اجتماعية خاطئة . و عليه فان الموضوع يجب ان يبقى مرتبطا بوسائل الاعلام التقليدية العامة على اعتبار انها وسائل جماهيرية ، لأن

الموضوع يقتضي الطرح الجماهيري عوض الخوض في نوع من المونولوغ الموسع الذي يجعل صدى الرسائل الاتصالية الاجتماعية تنطلق من المرسل و تعود اليه .

لا توجد معطيات احصائية دقيقة ترصد حجم المكانة التي تحتلها مواضيع الاعاقة ضمن الاهتمام الاعلامي العام . و الانطباع العام هو غياب الاهتمام بموضوع الاعاقة خارج الاطار المناسباتي . قليلة هي المؤسسات الاعلامية و خصوصا التلفزية و الاذاعية التي تخصص مواعيد ثابتة لفئة المعاقين

و الملاحظ في هذا الصدد ان هناك تفاوتا في حجم هذه الاهتمام من اعاقة الى أخرى : في دراسة أجرتها الباحثة الفرنسية ديلفين كومبروز COMBROUZE (Delphine) عن 111 نشرة إخبارية تلفزيونية اتضح اهتمام أكبر بالاعاقة الحركية لأنها أكثر وضوحا في التلفزيون . و أن أكثر التيمات حضورا كانت مرتبطة بالهيئات الجمعوية المهتمة بالاعاقة و بالادمج الاجتماعي (1)

و تاكد الشيئ نفسه في دراسة للباحث شانتز أوتو عن الاهتمام التلفزيوني بالرياضيين المعاقين فهم قليلو الظهور اعلاميا و ان انواع من الاعاقات أكثر حظورا من إعاقات أخرى ( تغييب أصحاب الاعاقة العقلية و اهتمام باصحاب الاعاقة الحركية (2)

.

**ب : تكريس صورة نمطية سلبية عن الاعاقة و المعاق** . و يمكن الاشارة هنا الى ان هذه السلبية تتراوح من سلبية مطلقة الى سلبية نسبية . بل و يمكن اعتبارهما مرحلتين متلاحقتين في تاريخ التعامل الاعلامي مع الاعاقة . السلبية المطلقة هي مقاربة إرادية مقصودة ، و السلبية النسبية هي رغبة في تصحيح الصورة و لكن بأساليب خاطئة .

**في مجال السلبية المطلقة** ، لنأخذ على سبيل المثال نموذجين اثنين من أنواع الانتاج الاعلامي التلفزيوني : الدراما و الاعلان

في الانتاجات الدرامية ، تتسيد الصورة السلبية في الطرح الدرامي لقضية الاعاقة ، و ذلك من خلال :

- تقديم المعاق كشخص فقير متسول أدواره ثانوية جدا ، و لا يظهر الا لإبراز كرم و إحسان أحد أبطال الرواية الدرامية ؛
- ربط بعض انواع الاعاقة بالغباء و السخرية ( التئتئة مثلا )
- ربط الاعاقة بالاجرام (قراصنة البحر بعين واحدة أو برجل مقطوعة )

- اعتبار الاعاقة تنيجة طبيعية للتهور و أحيانا جزاءا قدريا للطاغي أو الظالم .

و هذا طبعا له تأثير كبير على مستوى تشكيل الصورة الذهنية لدى المتفرج من خلال ما تحدثه عملية الاشراك سواء الواعي أو الذي يتم في العقل الباطن بين عناصر متباينة في الاصل و لكن تصبح طبيعية بحكم العلاقة السببية التي أسستها الحبكة الدرامية بين العنصرين .

أما في الحالات التي يحضى بها المعاق بمكانة مهمة في الرواية الدرامية فغالبا ما يربط الشخص المعاق بإعاقته فقط بمعنى انه ينظر اليه كمعاق فقط ( المعاق لا دور له سوى موضوع الاعاقة ) ( تماما كما كانت عليه صورة الشخص ذي الاصل المغاربي في الافلام الفرنسية مثلا حتى وقت قريب لا يلعب الا دور المهاجر حتى و ان كان فرنسي الجنسية!) ؛

يكرس هذا النوع من المعالجة الدرامية لموضوع الاعاقة المقاربة العاطفية طرحا و إدراكا . فالحالة إما ان تثير الشفقة المفرطة أو الحقد المفرط

في الانتاجات الدعائية و الترويجية التجارية ، يكاد يخلو الحقل كلية من إظهار المعاق كبطل للاعلان عن سلعة ما لم ترتبط هذه السلعة بإعاقته. و الدراسات الغربية التي اهتمت بالدعاية و الترويج التجاري سواء في التلفزيون او الراديو او الصحافة المكتوبة تؤكد ذلك .

يشير دومينيك ليل مدير الجمعية الاوروبية لوكالات الاتصال الى دور الصناعة الدعاية في تكريس المقاربة العنصرية لموضوع الاعاقة من خلال أسلوبين اثنين : الاول ، الاقصاء المقصود و التجاهل التام لهذه الفئة من المستهلكين , و الثاني ،بعض القائمين بالدعاية و خصوصا منهم أصحاب الدعاية "الإحسانية" يقدمون صورة مشوهة و غير صحيحة عن المعاق قصد الحصول على تبرعات و مساعدات مالية . و يشير ليل الى ان غياب المعنيين بالامر( المعاقين ) عن هذه الصناعة يساهم بشكل كبير في تكريس هذه الصورة السلبية (3)

تتمثل الواجهة الاخرى لتكريس الصورة النمطية السلبية عن المعاق دعائيا فيما يكتنف مفهوم الجسد الصالح للترويج الدعائي من خصائص تجعل بنيات جسدية كثيرة خارجة عما ما هو مقبول ظاهريا حتى و إن كان بدون إعاقة .

و تكرس المقاربة الدعائية في عصرنا الحالي توجها متصاعدا يجعل من الجسد قيمة جمالية متكاملة و هو ما استرعى انتباه الباحث ( دافيد لو بروتون) في دراسته عن انتربولوجيا الجسد و انتربولوجيا الحاضر إذ يعتبر بان الدعاية التجارية تعتبر الانسان جسدا قبل كل شيئ (4)

الا ان المفارقة التي تعيشها الفضية في علاقتها مع الدعاية و التي يشير البها دومينيك ليل هي وضع المعالجة الدعائية للاعاقة بين طرفين نقيضين و لكلاهما مآخذ خاصة : فالدعاية التي تعتمد على الاشخاص المعاقين هي اما تتوخى الحصول على تبرعات مالية مباشرة أو استغلال الاهتمام بالمعاق لتحقيق مكسب مادي من ورائه . و في كلتا الحالتين هناك اسغلال للشخص المعاق (5)

**أما في مجال السلبية النسبية** ، تتكرس هذه الصورة السلبية اعلاميا من خلال ما تفرزه أساليب المعالجة "التصحيحية " لموضوع الاعاقة ، و ذلك اما بالتركيز على الاعاقة فقط ، و تقديم هذه الفئة من خلال مقاربة مزدوجة : إما باعتبارهم أناس يحتاجون للرعاية و الاهتمام و المساعدة أو بتمجيدهم بالتركيز على انجازاتهم و تحدياتهم للاعاقة و ابرازهم كأبطال (سيبيرمان ) خارقين للعادة و قاهرين للاعاقة ( فيلم عن الاديب طه حسين "قاهر الظلام " ) .

الاسلوبان ينسجمان مع خصائص الاعلام التلفزيوني .

فالاول عاطفي يدغدغ أحاسيس المشاهد و يخاطب جوانب الشفقة و الرحمة فيه بتقديم المعاق كشخص ضعيف و عاجز .

و الثاني يركز على الاثارة و الفرجة من خلال النماذج الفريدة التي يعرضها و يغذي بذلك فضول المشاهد لا غير .

و تمكن خطورة هذه المقاربة المزدوجة ، بالاضافة الى كونهما يقدمان صورا بعيدة عن الواقع اليومي الذي يعيشه و يشعر به المعاق ، فان خطاب كل منهما يناقض خطاب الثاني ، و قد ينقص من قوة تأثيره اذا كان يتوخى استجابة سلوكية من طرف المتلقي . لأن كلاهما عبارة عن المثال النقيض للآخر . فضلا عن كونه يختزل صورة المعاق في احدى المقاربتين فقط علما بان الصورة هي مركبة و أكثر تعقيدا و اتساعا .

## 2- : وسائل الاعلام و اتاحتها للمعاق ( حقوق الانسان )

يتشكل هذا المحور من عنصرين اثنين . أولا ، أقلمة وسائل الاعلام مع خصوصيات المعاق :
ثانيا ولوج المعاق الى عالم الاعلام مهنيا

**أولا : الولوج الى وسائل الاعلام**

ساهمت وسائل الاعلام ربما بطريقة غير مقصودة في حل بعض مشاكل الاعاقة : الراديو حل مشكلة العمى ، التلفزيون حل الى حد ما مشكلة السمع ، الانترنيت حل مشكلة العجز الحركي ( يمكن قراءة الصحف في الانترنيت و الاطلاع على الاخبار و الاستفادة من مختلف الوظائف الاتصالية الاخرى

ساهم الانترنيت بشكل ملفت للانتباه في تجاوز العديد من اوجه معاناة المعاق من خلال ما تقدمه الشبكة من خدمات متنوعة تهم المواطن عموما و المعاق على وجه الخصوص : تيسير الوصول الى العديد من المرافق و المواقعه و الاستفادة من خدماتها :الادارة الالكترونية ، التجارة الالكترونية ، الحكومة الالكترونية ..

على الرغم من بعض اوجه الاهتمام بتقديم الخدمات الضرورية الاعلامية للمعاق انسجاما مع حقه في المعرفة و التعبير على غرار الشخص غير المعاق فان هذا الاهتمام لا زال خجولا بحيث انه لا يتجاوز مثلا في مجال لغة الاشارة تلفزيا بعض النشرات الاخبارية و لدى بعض القنوات فقط ( قناة الجزيرة تعتمد لغة الاشارة في نشرة واحدة يوميا ، القناة المغربية الاولى تخصص نشرة واحدة أسبوعيا للغة الاشارة ، و تغيب في العديد من القنوات )

ان ما تتيحه الوسئل الالكترونية من دعامات بديلة اعلاميا تجعلها محور اهتمام كل التصورات البديلة لتمكين المعاق من حقه الوولوجيات الفكرية و المعرفية و الخدماتية . ان نظرة سريعة على التجارب العالمية تؤكد هذا التوجه الجديد . أنشأ المجلس الخاص بجعل المعلومات متاحة للكنديين اصحاب عجز بصري سنة 2005 مشروعا رائدا يتمثل في مركز تبادل الوثائق الالكترونية لانتاج الدعامات الاعلامية البديلة ، على اعتبار ان العجز البصري يشمل 3 ملايين كندي ، و ان الخدمات المتاحة في هذا الصدد ( الوثائق القابلة للاستغلال لدى هذه الشريحة من المجتمع الى حدود 2005) لا تتجاوز نسبة 5% فقط من الوشائق المحمولة على دعامة بديلة

**ثانيا : المعاق و مهن الاعلام**

ان المسألة أبعد من أن تكون ترفا اجتماعيا بقدر ما هي واجب مهني في أفق تصحيح الصورة السلبية و إعطاء الكلمة للمعنيين بالامر المباشرين . ذلك انه من المؤاخذات الاساسية على طبيعة الصورة النمطية هي كونها صناعة غير المعاقين و بالتالي فهي عبارة عن صورة إسقاطية من الخارج بدل ان تكون صورة واقعية من الداخل

في غياب معطيات تخص الواقع العربي نستحضر التجربة الاوروبية يشير هيلترود فيشر تاوبيرت صحافي بقناة زدف الالمانية الى تجربة القناة الالمانية و التي تشغل 180 معاقا من أصل 3600 عامل في القناة و هو ما يمثل حوالي 5% من مجموع العاملين و ذلك انسجاما الى حد ما مع ما يفرضه القانون الاجتماعي للشغل (6)

.

**المحور الثاني : التصحيح**

يؤكد بيتر رادتيك ( عضو نشيط في اللجنة الاعلامية التابعة للمنتدى الاوروبي للاشخاص المعاقين و رئيس تحرير في محطة تلفزيونية صغيرة متخصصة في انتاج افلام عن الاعاقة و له 19 سنة تجربة مهنية اعلامية ) في الورقة التي شارك بها في المؤتمر الاوروبي الخاص بالاعلام و الاعاقة في اثينا يونيه 2003 ، ان اهم معوقات تصحيح الصورة تتمثل أولا في ضعف او سوء المعلومات التي يملكها المتلقي عن قضية الاعاقة و المعاق . و تتمثل ثانيا في النظرة الجمعية لدى المتلقي عن المعاق . ان المتلقي لا ينظر الى المعاق كشخص منفرد بل ينظر اليه كشخص ينتمي الى مجموعة . و بالمقابل لا ينظر الى الاشخاص غير المعاقين على اعتبار انهم ينتمون الى جماعة

غير المعاقين ، بل كأفراد ! و يطالب رادتيك في هذا الصدد ب"مقاربة اعلامية لا توغل في البؤس و لا في الارتياح ، مقاربة موضوعية ، غير منحازة ، بدون تلميع مصطنع ، تقدم الحياة اليومية للمعاق بجوانبها السلبية و الايجابية و الا فسوف تعاد أخطاء الماضي " (7)

و يؤكد رادتيك ، في ختام ورقته ، على أهمية المشاركة الفعلية للمعاق في الانتاجات الاعلامية و خصوصا في المجال الترفيهي , انهى ورقته بقوله ان تصحيح الصورة من خلال برنامج ترفيهي أفضل من أي فيلم وثائقي عن الاعاقة مهما كان جيدا من كل نواحيه "(8)

و لم يغيب الجانب الأخلاقي من منظومة التصورات التصحيحية البديلة فقد أكد دومينيك ليل على أهمية الالتزام بمبدأ جامع تحت مسمى الاحترام

احترام التنوع و الاختلاف ، احترام وجهات نظر المعاقين و اعتمادها من أجل معرفة حقيقية بالموضوع ، احترام قدرات المعاقين و إشراكهم في كل مراحل الانتاج الاعلامي الخاص بموضوع الاعاقة . كما يشير من جهة اخرى الى اهمية الدعاية في تصحيح الصورة من خلال جعل المعاقين أكثر مرئية بالحضور الواسع ،إشراك المعاق في وضعيات عامة مع غير المعاق ، خلخلة المعتقدات السائدة اجتماعيا عن المعاق من خلال ابراز أوجه النجاح بغض النظر عن الاعاقة (9)

.

ذهب باحثون مثل بول لازارسفيلد و ميرتون ( 1948) و شونباخ (1992) و فروه (1994) الى اعتبار وسائل الاعلام تساهم في ترسيخ المعتقدات السائدة اجتماعيا . ولكن تفاوتت استنتاجات الباحثين فيما يتعلق بمدى القوة التأثيرية لوسائل الاعلام على مستوى تغيير القناعات و إدخال سلوكيات بديلة . هناك من يتحدث عن التأثيرات القوية للاعلام ، و هناك من يعتبر تأثيره محدودا ، و هناك من يعتمد على نظرية التعرض الانتقائي ...(10) .

اهتمام علوم الاعلام و الاتصال بمسألة الاعاقة يمكن أن يندرج ضمن ما يسمى بالاتصال الاجتماعي . والاتصال الاجتماعي ليس مجالا بحثيا فقط و انما منهجية تحليل و وصفة عمل أيضا و أهم . على المستوى العملي تتحد مراحل الرسالة الاجتماعية كالتالي :

أولا : مرحلة وضع التصور العام ( 1 – تحديد نوعية المشكلة 2 – البحث عن أسباب المشكلة 3 – وضع التشخيص التربوي )

ثانيا : مرحلة الصياغة ( 1 – تحديد الأهداف 2 - وضع الرسائل الاتصالية 3- وضع الخطة الاعلامية)

ثالثا : مرحلة الانجاز ( 1 : انتاج الدعامات 2- تدريب المتدخلين 3- التنفيذ )

رابعا : مرحلة التقييم

و لكن تبقى على المستوى الواقعي الميداني الملموس إشكالية كبرى مطروحة و تتمثل هذه الإشكالية الرئيسية في كيفية تغييرالصور السائدة اجتماعيا و الاحكام المسبقة السلبية عن ذوي الاعاقة ( الستيريوتيب ) : عملية التغيير هذه من أعقد العمليات نظرا لتدخل العديد من المعطيات في تشكيل هذه العلاقة المتأزمة . و أعتقد أن أحد أوجه المشكلة هي في نوعية الخطاب الاعلامي الذي اعتقد و لمدة طويلة بان باعتماده على مقاربة أخلاقية مثالية سيساهم في تصحيح الصورة . و لذلك فالمطلوب أولا مراجعة هذه المقاربة و اعتماد الواقعية في الطرح .

**الواقعية في المقاربة** : التعرض لموضوع الاعاقة فكريا يكتنفه الكثير من الكلام الانشائي الذي تحكمه الاخلاق كمفهوم مجرد . و المفارقة هنا اننا نستحضر الأخلاق نظريا و نستبعدها عمليا و هنا لا بد من الاشارة الى ما يحيط بموضوع الاعاقة ، ربما أكثر من أي موضوع آخر ، من هامش غير صغير من المجاملة ، و أحيانا الكذب بين التعبير النظري و القناعة الحقيقية : ( في مسألة الزواج مثلا من منا يستطيع ان يقبل زوجا لبنته او اخته شخصا له اعاقة بصرية . و هذه الى حد ما طبيعة بشرية و ربما مرحليا لا يجب ان تشعرنا بالذنب . لأن الاعاقة نتحملها و لا نختارها .

و في هذا الصدد يجب الاشارة الى ان وسائل الاعلام هي محتضنة لهذه الاحكام المسبقة و لكن قد تكون ايضا منتجة لها . و منطقيا نقول : بما انها قادرة على انتاج الحكم المسبق فهي قادرة ايضا على تصحيحه

و بالتالي فإن أول خطوة في الاتجاه التصحيحي هي مراجعة اسلوب تعاملنا مع مواضيع الاعاقة حتى لا تبقى عبارة عن امنيات جوفاء و كلام يخلق نوعا من الدفئ الاجتماعي يستهلك و يرضي نظريا الجميع و يغذي أوهاما لدى الشخص المعاق تتبخر على أرض الواقع و ربما تترك فيه آثارا نفسية قوية )

لذلك فالاندماج الاجتماعي يجب ان يقارب من مستويات متعددة منها ما هو واجب إداريا و منها ما هو ممكن اجتماعيا :

- **الواجبات الادارية** تقع على عاتق الاجهزة الدولة و مؤسسات المجتمع المدني ( ضمان العيش الكريم لهذه الفئة و مراعاة خصوصيتها في الاندماج المهني و الثقافي و الاستجابة لمطالبها الحيوية ) .

اما **الممكن اجتماعيا** في أفق الدمج الاجتماعي الحقيقي فهو من مستويين اثنين . و لعل تثبيت المستوى الاول يساعد على تثبيت المستوى الثاني :

يتمثل المستوى الاول في "الدمج الماكرو- اجتماعي" إن صح التعبير. أي العمل على جعل المعاق جزءا طبيعيا من النسيج الاجتماعي، لكي ينظر اليه اجتماعيا لما يمثله كعطاء داخل المجتمع لا كشخص يثير العطف و الشفقة ( الدمج داخل المؤسسات السياسية ، الرياضية ، الفكرية ، ... ) . ( و يتم ذلك مثلا في المجال الرياضي بدمج المعاقين الى جانب غير المعاقين في نوادي موحدة مثلا . و تتكرس بذلك مفاهيم تصحيحية منها : الاعتراف بالاختلاف . و اعتبار الاعاقة "وجه من أوجه المشاكل العامة للانسانية" على حد قول شارل غاردو ( 11 ) . بمعنى آخر عدم اعتبار الموضوع خاصا بفئة من المجتمع فقط بل اعتباره قضية كل المجتمع ،فلا أحد يمكن أن يعتبر في مأمن من إعاقة محتملة ، و بالتالي فالمسألة تهم الجميع .

المستوى الثاني في إطار ما هو ممكن اجتماعيا ، هو "الدمج الميكرو- اجتماعي" اي الدمج التفاعلي المباشر بين المعاقين و غير المعاقين في علاقات تفاعلية شخصية حقيقية: صداقة ، زواج ، تشغيل طوعي و ليس اكراهي ...

و لا يتوقف تصحيح الصورة السلبية عن المعاق في هذا الحد بل هناك مسؤولية ذاتية كبيرة للمعنيين بالأمر . و هي في تقديري أهم خطوة تصحيحية و أقواها لأنها تحمل الخطاب الأصلي الداخلي و ليس إسقاطا خارجيا

**مسؤولية المعاق و ذوويه** : تختلف طبيعة الخطاب باختلاف موقع المعنيين بالامر المباشرين و أولياء أمورهم : خطاب الاباء خطاب مطالب مادية تربوية ( انشاء مراكز متخصصة ، تقديم تسهيلات ... ) خطاب المعاق خطاب مطالب معنوية الى حد ما (تفهم الآخر لحالة الاعاقة و الاعتراف بحق الاختلاف ) . يتطلب الأمر في تقديري مراجعة نقدية للأساليب السائدة و ترسيخ مقاربة جديدة "تفكيكية" ليس بالمعني الفوكوي و لكن بمعنى فصل الموضوع عن مسببات الفشل . و ذلك من خلال ثنائية : فك العزلة من جهة ، و فك الارتباط من جهة أخرى .

**مسؤولية الاسرة : فك العزلة**

تتمثل مسؤولية الاسرة في فك العزلة عن أفرادها . الأسرة لا تنجو من وقع الصورة النمطية السلبية و في بعض الأحيان قد تساهم في تكوين نفس الصورة السلبية حتى لدى المعاق نفسه . كم هي الأسر التي تخجل من الاعتراف اجتماعيا بإعاقة احد افرادها . بل يمكن هنا ان نشير الى وضع حقوقي شاذ ، و هو وجود رهائن بكل معنى الكلمة داخل بعض الأسرمحتجزين داخل البيوت . و تساهم هذه الأسربذلك في حرمان أفرادها المعاقين من العديد من أوجه المتعة الحياتية . علما

بأن خروجهم من قوقعة البيت قد يساهم في فك العزلة عنهم بل و الى تحسين قدراتهم . و أعتقد بان الأمر قد يستوجب تدخلا قانويا حقوقيا في هذا الصدد للمحافظة على حقوق هذه الفئة التي تعيش في الظل- إن صحت هنا كلمة "تعيش" - . يشير باتريك فاسيو الى التأثير القوي للوسط الأسري على طبيعة الصورة التقديرية التي يكونها الشخص المعاق عن نفسه (12)

**مسؤولية المعاق : فك الارتباط** :

الصور الذهنية السلبية ليست فقط من انتاج الاخرين، و لكنها قد تكون صناعة ذاتية أيضا . الكثير من المعاقين يساهمون في تكريس هذه الصورة و بالتالي فإنهم يشكلون مصدر معاناة لأنفسهم . الباحث دافيد لو بروتون يشير في هذا الصدد الى تعرض المعاق الى نوعين من العنف . فالى جانب العنف المعنوي الذي يتلقاه من الأخرين فانه يتعرض ايضا الى عنف ذاتي يمارسه على نفسه (13) . و فك هذا الارتباط يعني محاولة تصحيح النظرة الاجتماعية التي ترى الشخص المعاق كفرد منعزل او مستقل أو متكامل و لكنها تربطه دائما بالفئة التي ينتمي إليها أي تعتبره شخصا معاقا أولا و قبل كل شيئ !

أحد المقومات التعريفية لمفهوم الستيريوتيب هو انه يصنف الاشخاص في إطار جماعي و لا يعترف بالخصوصيات و بالتالي فقد تكون من بين المسارات الجديدة المحتملة لتكسير الصورة النمطية السلبية عن المعاق و جعل اندماجه الاجتماعي ممكنا هو الاقدام "تكتيكيا" فك ارتباط المعاق بالفئة التي ينتمي إليها. بمعنى آخر يمكن ان تقتصر المؤسسات التمثيلية لهذه الفئة على العمل من اجل تحسين الاندماج الاداري من خلال توفير جملة من الامكانيات الضرورية للعيش الطبيعي . على ان تبقى الانشطة الاجتماعية الاخرى مسألة شخصية غير مرتبطة بجهة تنظيمية خاصة سواء تعلق الامر بالفعاليات الثقافية أو الفكرية أو الفنية ، لأن تقوقع المعاق في إطار الفعاليات المخصصة له ترسخ الطابع المتميز لهذه الفئة و تستحضر شعوريا او لا شعوريا أعاقته قبل أن تستحضر مساهمته.

واجهات عمل الشخص المعاق للدفاع عن حقوقه متعددة حسب تعدد المجالات السياسية الاجتماعية الاقتصادية الثقافية ... و الاعلامية . لذلك فان العمل الموسوعي لم يعد مجديا في زمن التخصص . المطلوب تأسيس مؤسسات متخصصة تأخذ كل واحدة على عاتقها جانبا من جوانب

اهتمام الشخص المعاق . و في هذا الصدد نجد مثلا في اروبا جمعيات تهتم فقط بعلاقة الاعلام بقضايا الاعاقة مثل الجمعية الوطنية الاعلام و الاعاقة في فرنسا ( تأسست سنة 2004 )

لم تعد المتابعة الاعلامية امرا هينا بل يجب فرضها على جميع المستويات . و هنا تدخل مهام إدارات العلاقات العامة لمؤسسات الاعاقة لتكثيف الحضور المنتظم و الدائم حتى و إن تطلب الأمر اصطناع الأحداث و المناسبات التي قد تثير اهتمام الاعلام . المتابعة الاعلامية تتطلب تحركا من جميع الاطراف و خصوصا من المعنيين بالامر أي المعاقين و ذويهم ، بحيث لا يمكن لنا ان نطالب الجهات الاخرى بالاهتمام في حين ان المعني بالامر لا يقوم بالجهد المطلوب لفرض المتابعة الاعلامية . يجب على مؤسسات الاعاقة ان تجاري الاعلام في منطقه عوض أن تتوقف و تنتظر الالتفاتة ايمانا منها بأن الموضوع إنساني و يجب الاهتمام به . هذا المنطق لم يعد الاعلام يشتغل به

**المراجع :**


1) COMBROUZE (Delphine) L'information sur les personnes handicapées motrices et sensorielles dans les journaux elevises : analyse thématique et lexicale. *HANDICAP*, 2000/01-03, n° 85, 27-45

2) Schantz, O. & Gilbert, K. (2001) « An Ideal Misconstrued : Newspager Coverage of the Atlanta Paralympic Games in France and Germany », *Sociology of Sport Journal*, 18, 69-94.

3)dominic Lyle,

4)LE BRETON (David) Anthropologie du corps et modernité. Paris : PUF, 1990, 263p.

5)dominic Lyle

6)Hiltrud Fischer-Taubert L'EMPLOI ET LE RECRUTEMENT DES PERSONNES HANDICAPEES DANS LES MEDIAS

7) peter Radtke entre l image du mendient et celle de batman : les personnes handicapees dans les medias , bulletin du FEPH fevrier mars 2003

(8) بيتر رادتك ( المرجع السابق )

(9) دومينيك ليل ( مرجع سابق )

( 10 ) راجع في هذا الصدد :

-Lazarsfeld, P.F., & Merton, R.K. (1948). Mass communication, popular and taste organized social action. In L. Bryson (Ed.) *Communication of ideas* (pp.95-118). New York : Harper&Bros.

-Schönbach, K. (1992), Trnasaktionelle Modelle de Medienwirkung : Stand der forschung. In W.Schulz (Ed.) *Medienwirkung. Einflüsse von Presse Radio und Fernsehen auf Individuen und Gesellschaft* (pp.109-120). Weinheim. Germany : VCH.

11)GARDOU (Charles)
Fragments sur le handicap et la vulnérabilité : pour une révolution de la pensée et de l'action. Ramonville Saint-Agne : Erès, 2005, 261p. réf. 31p. (Connaissances de l'éducation)

12)FASSIAUX (Patrick) Handicap et image de soi : psychologie : du corps à l'image de soi… *SOINS PEDIATRIE-PUERICULTURE*, 2003/04, n° 211, 16-19,

13)LE BRETON (David)Handicap d'apparence : le regard des autres. *ETHNOLOGIE FRANCAISE,* 1991 , vol. XXI, n° 3, 41-48